

السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ ملحمة الانتصار والفخار في التاريخ العربي المعاصر

صورة حرب تشرين التحريرية في الدراما والسينما والمسرح

شكّلت هذه الحرب حدثاً تاريخياً يحتذى به في الصمود والتضحية



من مسرحية «ضبعة تشرين»



المخرج نجدة أنزور أثناء إنجاز مسلسل «رجال الحسم»

«ألف جبل مشنقة ولا يقولوا بو عمر خاين يا خديجة» أصبحت أيقونة درامية ما زالت تردد حتى الآن

الفيلم مأخوذ من قصة واقعية حدثت في بلدة الزبداني في الريف الدمشقي، وقد نفذته دائرة الإنتاج السينمائي في التلفزيون العربي السوري.

يعرض الفيلم مقاطع صوتية من إذاعة دمشق تحمل أخباراً مدوية بنفوق الجيش السوري وتكبد العدو الإسرائيلي خسائر فادحة، مصاحباً ذلك مشاهد حية من أرض المعركة ومعشفاً بصوت فيروز وأغنياتها الشهيرة «حُلة قدمك من الأرض هدار» التي تثير الطيار الصهيوني مطالباً بتغيير التردد والاستماع إلى الإذاعة الإسرائيلية فيرد عليه أبو عمر ضاحكاً «إسرائيل ما بتطلع بهادا الرايدي».

في السينما

هنالك فيلم «موت مدينة» و«القنطرة حبيبتي»، بينما نجح فيلم «مهمة خاصة» في صياغة مشهدية أخاذة ورسد تضحيات الجنود السوريين في عملية تحرير مرصد جبل الشيخ إذ استطاع هذا الفيلم أن ينتزع شهادة تقدير لجنة التحكيم في مهرجان لايبزيغ للأفلام الوثائقية ليكون بمثابة توثيق فني لأبطال تشرين وتضحياتهم على خطوط النار مع العدو الإسرائيلي.

تثليلات أخرى

وتتابع التثليلات مثل «العريس» أيضاً للمبدع صلاح قصاص وإخراج شكيب غنام، وترصد قيمة الشهادة العليا واعتبارها عرساً وطنياً تعكس روح التضحية للوطن السوري واستعداده لتقديم أغلى ما يملك فداه للوطن.

أما تثيلية «حكاية من تشرين» للمخرج هاني الروماني فاختلقت شكلاً ولكنها تشابهت مع سابقتها مضموناً، حيث وثقت قصصاً ميدانية من أرض المعركة في مزج مترابط بين مشاهد الدراما وواقعية الشريط الوثائقي.

وتميزت تثيلية «الولادة الجديدة» للمخرج غسان ويذهب به إلى الشرطة ليسلمه ويسلم نفسه بأن واحد.

فانتوم» قمة في الكوميديا حيث تفاعل معها الجمهور بشكل لا يمكن وصفه، وشارك بالعرض من حيث لا يدرى، حتى كانت رابعة محمد الماغوظ وبريد لحام «ضبعة تشرين» ويعدهما جفت أقلام الكتاب وبدأ وهج المسرح يخفت شيئاً فشيئاً.

في الوثائقي

كان لقسم السينما في الجيش العربي السوري دور بارز في تصوير مشاهد سينمائية من حرب تشرين المجيدة، وحقق السينمائيون في قسم السينما أفلاماً وثائقية تتميز بمحاولة تقديم أفكار ناضجة سينمائية حيث تقدم فكرتها من دون خطابية مباشرة، ومنها «حول معارك تشرين» وهو أول فيلم وثائقي تنقله الكاميرا السينمائية من قلب المعركة، وفيلم «التحرير» وهو يلخص في ساعة ما حدث خلال حرب تشرين.

ومنها أيضاً فيلم «النازية الجديدة» الذي يقارن بين أعمال النازية خلال الحرب العالمية الثانية والعدوان الإسرائيلي في اعتدائه على الأرض العربية.

ويقارن فيلم «معرض تشرين الخاص» بين إنتاجنا من السلع التي تخدم الإنسان والإنتاج الإسرائيلي من أسلحة القتال والدمار ويصل الفيلم إلى بيان طبيعة شعبنا المحبة للخير.

أما فيلم «أهلاً بكم في دمشق» فيؤكد أن أرض سورية مقيمة لمن يعتدي عليها، فأي طائرة أو دبابة تحاول الاعتداء على أبناء شعبنا وبلادنا ستكون نهايتها على أرضنا.

وفيلم «جولان جبل الشيخ» يسجل مشاهد حية من المعارك التي دارت في حرب تشرين وحرب الاستنزاف التي تلتها.

وتم تصوير مسرحية «عرس التحدي» سينمائية، وهي لفرقة المسرح العسكري، ويؤكد الفيلم على قيم البطولة والفداء والشهادة في سبيل الوطن.

ويتحدث فيلم «تل الفرس» عن صمود المقاتلين السوريين، وعن روح الفداء العالية التي تنموا بها خلال المعارك، وتقولنا حتى اللحظة الأخيرة.

الدراما المصرية

على الملعب الأخر، وفي الدراما المصرية، هنالك عدد من الأعمال التي جسدت حرب تشرين أيضاً، منها مسلسل «أرأفت الهجان» المأخوذ من ملفات المخابرات المصرية، ويحكى سيرة الجاسوس المصري رفعت على سليمان الجمال الذي تم زرقه داخل المجتمع الإسرائيلي وكان له دور فعال في الإعداد للحرب.

وأيضاً مسلسل «وادي قبران» وتدور أحداثه من واقعة حقيقية، حدثت في منطقة جنوب سيناء، خلال الفترة من تمسة حزيران وحتى نصر تشرين، ويعكس صورة من صور مقاومة أهالي سيناء للاحتلال الإسرائيلي للسيطرة على المنطقة.

مصعب أيوب

بانوراما حرب تشرين التحريرية لوحة فنية تفري عن المثقبي وتحاكي عقله وقلبه، وهي تمثل تجسيداً حياً للمعارك البطولية، وتأتي أهمية هذا الصرح البانورامي في توثيق هذه الحرب لأنها حرب انتصار ورد اعتبار وغيرت وجهة تاريخ المنطقة، ونظراً لضرورة ترسيخ الانتصار في وجدان الشباب وذاكرة الأجيال ولجعلها نموذجاً لإعداد جيل مؤمن بعدالة قضيتهم وترسيخها في ذاكرة الأجيال اللاحقة ولجعلها بمنزلة نموذج يحتذى به من أجل تنشئة جيل يحمل الإيمان العميق بالعدالة وتحقيق النصر والحفاظ على أرضه.

ارتباط الفنان بأرضه

وقد عبر العديد من الفنانين عن معاني التحرير في تشرين بطريقة عميقة وتجسيد قريب للعقل بالرمز والتشكيل، فكان الاحتفاء بالانتصار ماجساً ووطنياً لا بد من ظهوره بالشكل التجريدي، وتجسد فيها مدى تعقّق الفنان بأرضه وبالقضية المصرية في وجه الكيان الصهيوني وقد كان لتلك الأعمال الدور الكبير في تعزيز الشعور بالانتماء ولا سيما بعد تخليد أسماء الشهداء والاحتفاء بهم، سواء شهداء تشرين أم ميسلون أم أي معركة كان هدفها الدفاع عن الوطن وحماية أراضيه.

ثبات وتصلب

هي حرب قادتها كل من سورية ومصر على الكيان الصهيوني لتحرير هضبة الجولان في سورية وشبه جزيرة سيناء في مصر، فكان لا بد من تخليدها في مكان يجسد جميع البطولات والانتصارات التي خاضها الجيش السوري في حربه التي أطلق صافرها عند الثانية ظهراً في السادس من تشرين الأول ١٩٧٣.

وقد تم تخليدها في صرح شيد على شكل قلعة عربية قديمة تعكس عمارة العرب الأصلية وتعتبر عن الثبات والتصدي الذين أبدتها سورية خلال الحرب وهو موقفها الثابت حتى اليوم، فتلقت نفسك متوغلاً في تلك الحرب منذ اللحظات الأولى لدخولك هذا المكان.

تصميم القلعة الحصينة

بناء ضخّم وصرح عظيم سيلفت انتباهك عند مرورك من مدخل مدينة دمشق الشمالي والشرقي، ويكسو الصرح الدائري هندسة معمارية فريدة استمدت من تصاميم القلاع الحصينة، ويعلو البناء قبة ومن فوقها برج حجري ومعدي.

كما يتوسط الساحة الخارجية تمثال مصنوع من البرونز للفنان الخالد حافظ الأسد باللباس العسكري يجسد دوره المحوري في قيادة الحرب، ويضم المتحف في الساحة الخارجية من جهة اليمين مجموعة من الأليات العسكرية الحديثة للبحر.



السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ ملحمة الانتصار والفخار في التاريخ العربي المعاصر

صرح باقٍ يخلد حرب تشرين بعين التشكيليين

الفنان ابن أرضه ويحمل همومها ويسعى لتوثيق انتصاراتها وتاريخها



إحساس بالواقعية

وتحتضن القاعة أيضاً بعض اللوحات الفنية التي يمتزج فيها تاريخ سورية بحاضرها ومنها لوحة ملك إبيلا عند توقيع معاهدة سلام تمثل توحيد البلاد في الألف الثالث قبل الميلاد، ولوحة تظهر فيها زونبيا ملكة تدمر التي اشتهرت بذكائها وحكمتها ومشاركتها لزوجها في الحياة السياسية وتمثل هذه اللوحة تأكيداً على الدور المركزي للمرأة في الحياة السياسية إضافة إلى أنها اتجهت إلى توسيع نفوذ إمبراطوريتها وتحرير بلادها، وكذلك لوحة للفنان صلاح الدين الأيوبي ويظهر فيها تذل وانكسار ملوك الفرنجة بعد أن هزموا وحرر الأيوبي القدس من دناستهم ولوحة للخليفة الوليد بن عبد الملك في الأندلس وبالتأكيد لوحة لمشاركة القوات البحرية في الحرب التحريرية، والوقوف أمام تلك اللوحات يعطي الكثير من مشاعر الفخر والحساس التي تقرؤها في اللوحات.

مرصد جبل الشيخ

كما ترصد قاعة ديوراما على يمين قاعة اللوحات الزينية التي تمثل مزجاً فنياً بين أرضية المكان واللوحة الفنية المضاء لبراهما المشاهد امتداداً لتلك الطبيعة، وهي تتغنى بمآثر الجيش لتقدم تجسيدا لتحرير مرصد جبل الشيخ الذي كان يحتره العدو من أهم القلاع الحصينة، ويراقب ذلك عرضاً فنياً بالصوت والصورة يفحص في صلب الحدث ويضعف في أرض المعركة لتشرع وكأنك أحد أولئك الأبطال، وقد نفذ هذه اللوحة الفنان التشكيلي حيدر بازجي وهو ابن لواء استكدرين ولذلك فقد حمل هم الانتصار ويجسد أحداثه ويخلد ذكره للشعوب.

